

أمنة الجبلأوي: جماعات الإسلام السياسي تستفيد من الفهم الخاطئ للإسلام المبكر ومفهوم الخلافة

الباحثة التونسية لـ «العرب»: الجهاديون شوهاوا فترة الدعوة



استثارة المشاعر

وتعقيدا مما تصور على أنها جاهلية، بالعكس كان هناك فراء كبير ونقاش وتأثر بين هذه الطوائف.

● **العرب:** رغم هذا التنوع الذي تزخر به الحضارة العربية والإسلامية وحالة الانفتاح في الماضي، غير أن ما نلاحظه اليوم أن خطابات التطرف في تصاعد، لماذا برأيك أطل الانغلاق برأسه عربيا؟ وأي دور للجماعات الإسلامية وخاصة الإسلام السياسي في ذلك؟

● **أمنة الجبلأوي:** في الواقع الإسلام السياسي نجح في أشياء وأخفق في أشياء أخرى، ونحن نرى مصير الإسلاميين في السودان وغيره، لقد أسأوا وإدارة هذا البلد مثلا طيلة 30 سنة دليل تخلف السودان على مستوى البنية التحتية رغم مقدراته، والسودانيون لم يجدوا استجابة لتطلعاتهم. ولادة الإسلام السياسي ارتبطت بنهاية الدولة العثمانية.

الساحل الأفريقي عرف انحرافا في تأويل القرآن، ما جعله يمثل أرضية مواتية للتشدد حسب الباحثة التونسية

عند تفكك جسد الرجل المريض برزت بوادر حزين إلى سلطة دينية وسياسية تشبه الباب العالي والسلطان العثماني (أمير المؤمنين) وإعادة إحياء مسألة الخلافة وتجلي ذلك في تعبيرات كثيرة على غرار الإخوان المسلمين وحزب التحرير. استفادت هذه الجماعات من ذلك باعتبارها وليدة فهم خاطئ للإسلام المبكر ولعنى إمارة المؤمنين. وعندما نحاول أن نطرح مثل هذه المسائل بجديّة نجد أن هذه المكونات السياسية تستعمل مصطلحات دون أن تفهمها، إنها تستثمر هذه المصطلحات وتبيع الأعلام للجموع الهشة اقتصاديا وثقافيا. وفي كل مرة هذه الجماعات التي تستثمر فشل الخلافة في بداية القرن العشرين لا نجد من يجب على مرويّاتها بشكل سياسي، لذلك اعتقدت أن جزءا من المسؤولية تتحملة الدول في طريقة تعاطيها مع هذه الجماعات من خلال السياسات التربوية التي تتعلق بتكريس الفكر النقدي والفلسفة وتوحيد الصف في مواجهة الفكر المتطرف من خلال القيام بإصلاحات هيكلية على المستوى الديني لتصحيح المفاهيم.

صورة الأخر المختلف عنا في الإسلام، كيف تبدو لك هذه الصورة؟

● **أمنة الجبلأوي:** كما تعلمون فإن مسألة الأخر في عملنا الذي تمحور حول الصابئة كديانة لم تكن مدار العمل، لكن ما نلاحظه بشأن نظرة المسلمين للأخر الصابئي على غرار الشهرستاني وابن حزم ونصوصهما سنكتشف أن هناك أكثر انفتاحا في الماضي على اليوم. أيضا عندما نقرأ لابن النديم وغيره نجد أن هناك انفتاحا لافتا في الماضي بخلاف على ما يحدث اليوم. وإلى حدود القرن السادس لا نجد مصادر تقدم أوصافا سلبية للطوائف الأخرى لكن هناك تراجع اليوم. هناك مناظرة دارت بين الأحناف والصابئة حران وهو نص مهم. وبالعودة أيضا إلى الشهرستاني "الملل والنحل" نجد مناظرة أخرى أيضا دارت بين الأحناف والصابئة واشتغلت على دور النبي ودور الكاهن في إعادة ترتيب ما يسمّى بالتوحيديات المتأخرة.

إن كما أكدت لكم هذه النصوص لا تعطي أي إشارات على أحكام قيمة على الأخر، ربما التخلف ووسم الآخرين بأوصاف سلبية بدأ مع عصور انحطاط مع ابن تيمية وغيره.

● **العرب:** حسب ما خلصت إليه في هذا المؤلف، فإن الإسلام تأثر بالصابئة، أين تجلّى مظاهر هذا التأثير؟

● **أمنة الجبلأوي:** دعني أعطي في البداية لمحة عن الإضافة التي قدمها بحثنا هذا، فهو لا يبحث فقط عن صابئة القرآن لكن يبحث أيضا في مفهوم الحنفية الذي طرح إشكالا في الماضي، وهناك علاقة بين الأحناف والصابئة. عدت إلى الحنفية لأن النسق العقائدي داخل الجزيرة العربية لم يمر من وثنية صرفة إلى توحيدية صرفة، ذلك أنه مر بمراحل، حيث أن الحنفية جاءت بين مرحلة تعدد الآلهة وفكرة الإله الواحد.

وكما يعلم الجميع التوحيد لم يولد مباشرة، فالصابئة والحنفية جاء في مرحلة التساؤل عن يأتي بالوحي ويترجم الكلام الإلهي. وفي الحنفية من يضطلع بالوحي هو الكاهن وليس النبي. وجدت في خضم ذلك خصوما جميلة مثلا بين الشهرستاني وابن ميمون وبين الأحناف والصابئة حول من ينقل الوحي؛ الكاهن أم النبي؟ وطبعا في النهاية افكت التوحيديات الثلاث مسألة الوحي من الكاهن إلى النبي. إذن مسألة النقاش حول الشراء الديني كانت أكثر تركيبا

وفرنسا للتيسير في العمل ضد التطرف لاسيما على المستوى البحثي. بالنسبة إلى الساحل، عرف انحرافا في تأويل القرآن وصلتنا قصص مؤلمة من هناك رغم اعتدال هذه الدول التي تقوم على التصوف وغيره من التقاليد التي تنسجم مع طبيعة المجتمعات الأفريقية، لكن يبدو أن هناك أطرافا شجعت على إنشاء مدارس قرآنية على شاكله مدارس طالبان، وهي مدارس تستغل فقر بعض الأاطفال لتلقي تكوين، ما خلق نواة للاستقطاب.

● **العرب:** إلى مؤلف الآن منزلة الصابئة في الثقافة العربية الإسلامية الذي عندما تتوقف عنده ندرك حجم التعقيدات التي تحت على تفكيك هذه الديانة التي سبقت الإسلام رغم عودتك إلى مصادر وتفسيرات عديدة على غرار الطبري والطاهر بن عاشور وغيرهما. كيف تعقدت مهمتك في البحث عن هذه الديانة التي ذكرتها العديد من الكتب على غرار القرآن في النبي ودور الكاهن في إعادة ترتيب ما اليوم التي يطلقها البعض عن الصابئة؟

● **أمنة الجبلأوي:** مشروعنا البحثي هذا انطلق من دراسة الإسلام المبكر، والاهتمام بهذه الفترة يبرز لنا تعدد الطوائف في الجزيرة العربية قبيل الدعوة وحتى انقاعها. وكان جزء من سؤالنا حول الصابئة امتدادا لمشاريع بحثية سابقة حاولت تفكيك ما قالته بعض المصادر عن الإسلام المبكر ومحاولا فهم هذه الفترة بشكل علمي. لقد كان السؤال المحوري الذي حاولنا الإجابة عنه هو: ما الذي حدث خلال هذه الفترة (فترة الإسلام المبكر) وهو سؤال يورق للمسلمين خاصة أن هناك مرويّات أخرى للجهاديين مثلا تقوم على قراءة خاطئة ومشوهة لفترة الدعوة. وقام هؤلاء بصناعة أوهم حول هذه الفترة، حيث أنهم روجوا إلى فكرة الاقتداء بالسلف الصالح في القتل وغيره وهم مخطفون. إذن في هذه الفترة كانت هناك عدة طوائف من بينها الصابئة، والسلك يعلم أنه في ما يذكر عن تلك الفترة أن بعض أصحاب الرسول محمد لقبوا بالصابئة. ويقول الطاهر بن عاشور مثلا في مؤلفه "التحرير والتوير" إن "جد محمد لأمه ابن أبي كيثبة كان صابئيا". وبالعودة إلى المصادر إذن نجد أن بعض أقرباء محمد (أخواله) كانوا صابئيين.

● **العرب:** الحديث عن الصابئة أو الأديان الأخرى يطرح مسألة حساسة في العالم العربي والإسلامي وهي

أن نخلق من الشباب والنساء سفراء للإسلام في مناطقهم قادرين على احتواء أخطار الاستقطاب من خلال توعيتهم بمراحل عملية الاستقطاب وبالمفاهيم الدينية وغيرها.

● **العرب:** تحدّثت عن الساحل الأفريقي وانت خريجة السوربون وتعرفين أن فرنسا تقود عملية معترة ضد الجهاديين في دول الساحل، ما الذي جعل برأيك دول الساحل أرضية لتنامي العمل الإرهابي؟

● **أمنة الجبلأوي:** في البداية لا بد من دعوة أصدقائنا في الخليج كما في الجامعة العربية والساحل الأفريقي تونس بين القبائل.

● **العرب:** كان لكم العديد من المبادرات في المعهد الدولي للإنماء الإنساني من بينها "سفراء السلام" وغيرها، ما هي أهداف مثل هذه المبادرات؟

● **أمنة الجبلأوي:** كما تعلمون تونس مثلت هدفا للجماعات الإرهابية التي نفذت هجمات كان ضحاياها مدنيون وسياسيون على غرار الشهيدين اليساريين شكري بلعيد ومحمد البراهمي، إضافة إلى شهداء المؤسسات الأمنية والعسكرية. وعندما انطلقنا رسميا في العمل في 2013 كانت من بين أهدافنا معرفة المسألة الدينية كما ينبغي لتفكيك الخطاب الإرهابي وإعداد خطاب بديل يجب على هذا الخطاب المتطرف ويحد من نجاعته خاصة أنه استهدف الشباب الذي يعد محور اهتمامنا في المعهد، إلى جانب النساء لأن هذه الفئات كانت مستهدفة من قبل قنوات تلفزيونية والدعاة الذين يشتغلون فيها منذ التسعينات قبل أن تضاف إليها فوضى الفتاوى على مواقع التواصل الاجتماعي. الرهانات



مع تزايد الهجمات الإرهابية، ورغم الانتكاسات التي تتعرض لها الجماعات الجهادية في أكثر من منطقة، تتكثف النقاشات بشأن فشل الدول العربية والإسلامية في وضع حد لآفة التطرف التي تستقطب شباب هذه البلدان. وفي حوار مع "العرب" قالت الباحثة والأكاديمية التونسية أمنة الجبلأوي إن جماعات الإسلام السياسي تستفيد من الفهم الخاطئ لفترة الإسلام المبكر والخلافة، مؤكدة أن الجهاديين قاموا بتشويه فترة الدعوة من خلال "ترويجهم للاقتداء بالسلف الصالح في عمليات القتل".

● **العرب:** اليوم هناك هامش من الحرية لكن في المقابل تشهد تونس صعودا متواصلا للشعبيين وحتى الذين يتبنون خطابا تكفريا داخل البرلمان مثلا وهي مؤسسة مهمة جدا في الحياة الديمقراطية، كيف تقرئين ذلك؟ وهل باتت حقوق المرأة على المحك اليوم بسبب هذا الخطاب؟

● **أمنة الجبلأوي:** في البداية لننتقل أولا على أنه لا يوجد فشل في تونس بقدر ما يوجد تعثر وعدم تحمل للمسؤولية من كافة الأطياف السياسية (من يساريين وإسلاميين). خصوصيات الجامعة التونسية مثلا خلال الثمانينات صُدرت إلى المشهد السياسي في هذه العشرية وبشكل رديء أحيانا. هذه العملية ترهن زمننا وحققنا في إدارة أفضل للشأن العام. وبالنسبة إلى الجزء الثاني من السؤال، كانت هناك تراكمات مكتسبة المرأة التونسية طوال عقود لكن المشكلة الحقيقية تكمن في التربية على هذه الحقوق والمكاسب لأنه حتى الخطاب لم يرق بعد إلى مرحلة المساس بالترسانة التشريعية الموجودة حاليا. والمسؤولية هنا مشتركة يتحملها الفاعل السياسي كما المؤسسات الإعلامية التي باتت تلهث وراء الريح المادي دون أي تقدير للعواقب ذلك على نمط المجتمع التونسي والتحول التي ستطرأ على العلاقات داخل هذا المجتمع. وعندما يتدهور الخطاب بشأن حقوق الإنسان والأقليات، فإن ذلك سيبتعه تدهور للخطاب في علاقة بحقوق المرأة. للأسف تابعا خطابات مخزنية لنواب في البرلمان عن المرأة وهي تصريحات تتعارض مع مبادئ الدولة والدستور وتتناقض كذلك مع التعهدات الدولية. وهذه التصريحات تذر برسمة خيط التدهور في علاقة بحقوق المرأة (تدهور في العقلية، هناك نوع من الردة في علاقة بحقوق المرأة). هم منتخبون لكن من المفترض أن تتم معاقبتهم أو على الأقل الإشارة إلى تجاوزاتهم، لكن للأسف لم يحدث ذلك؛ لقد ضاع دم نساء تونس بين القبائل.

● **العرب:** كان لكم العديد من المبادرات في المعهد الدولي للإنماء الإنساني من بينها "سفراء السلام" وغيرها، ما هي أهداف مثل هذه المبادرات؟

● **أمنة الجبلأوي:** كما تعلمون تونس مثلت هدفا للجماعات الإرهابية التي نفذت هجمات كان ضحاياها مدنيون وسياسيون على غرار الشهيدين اليساريين شكري بلعيد ومحمد البراهمي، إضافة إلى شهداء المؤسسات الأمنية والعسكرية. وعندما انطلقنا رسميا في العمل في 2013 كانت من بين أهدافنا معرفة المسألة الدينية كما ينبغي لتفكيك الخطاب الإرهابي وإعداد خطاب بديل يجب على هذا الخطاب المتطرف ويحد من نجاعته خاصة أنه استهدف الشباب الذي يعد محور اهتمامنا في المعهد، إلى جانب النساء لأن هذه الفئات كانت مستهدفة من قبل قنوات تلفزيونية والدعاة الذين يشتغلون فيها منذ التسعينات قبل أن تضاف إليها فوضى الفتاوى على مواقع التواصل الاجتماعي. الرهانات

● **العرب:** في البداية، لو توضّح لي لنا أكثر الأدوار التي يضطلع بها المعهد الدولي للإنماء الإنساني؟

● **أمنة الجبلأوي:** المعهد الدولي للإنماء الإنساني جمعية تونسية تأسست سنة 2013، والهدف منها هو القيام بالدراسات والتكوين في ما يخص الشأن العام على غرار التوقي من التطرف في إطار معاضدة جهود الدولة في مكافحة التطرف. كما تعلمون تونس لديها استراتيجية في هذا الصدد تقوم على عدة ركائز أبرزها التوقي من الفكر المتطرف، وهذا الدور لا يمكن أن تقوم به السلطات فقط بل ندفع نحو تضامن الجهود من مجتمع مدني وغيره من أجل تحصين شبابنا. أيضا المعهد الدولي للإنماء الإنساني لديه العديد من الشراكات مع الاتحاد الأوروبي وغيره من المؤسسات الدولية لخص مبادرات عدة ترمي إلى تعزيز السلام.

● **العرب:** تتابعين التطورات في تونس، كيف يبدو لك المشهد السياسي في خضم الدعوات للحوار الوطني والأزمة بين الرئاسات الثلاث (رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ورئاسة البرلمان)؟

● **أمنة الجبلأوي:** في تونس نعيش مازقا حقيقيا، وهذا المازق يجلينا مثلا إلى ما يثيره البعض حول مصطلح "الزاوية المسيكية" (وهو مفهوم يستعمل عندما تقع في مازق ونعجز عن الخروج منه). المازق كثيرة في ظل المشهد الحالي بسبب القانون الانتخابي وهيكله هيئة الانتخابات وتحييد بعض المراكز الفرعية التي تنضوي تحتها.

نحتاج ربما إلى رسائل طمأنة بشأن حياد هيئة الانتخابات، والعمل على تحييدها، وندعو إلى أن يتم التطرق إليها في الحوارات القادمة. هناك أيضا مازق دستوري، فرغم ما منحنا إياه دستور 2014 غير أن هناك فترات كبيرة تتعلق بالسلطة المحلية، علاوة على إضعاف سلطة الرئاسة مقابل منح البرلمان صلاحيات قوية، ما يزيد من حالة التشرذم السياسي. اليوم من الصعب إيجاد غالبية تتحمل مسؤولية نتائج الحكم.



صغير الجبدي صحافي تونسي

تونس - لا تزال مواضع "صورة الأخر" المختلف تثير نقاشات صاخبة في العالم العربي والإسلامي خاصة أن العشرية التي تلت انطلاقته "الربيع العربي" شهدت تزايدا للتشدد، ما ضاعف من التحديات أمام المختصين في الحضارة الإسلامية وغيرها من المجالات لقطع الطريق أمام المتشدين عبر دحض أطروحاتهم بشأن الإسلام التي تؤسس للإقصاء والعنف.

وفي حوارها مع "العرب" تشدد الباحثة والأكاديمية التونسية أمنة الجبلأوي على أن جماعات الإسلام السياسي تستغل الفهم الخاطئ للإسلام المبكر والخلافة لاستقطاب الناس، مشيرة إلى أن بلادها لم تنجح بعد في معرقتها ضد الإرهاب والتطرف.

والجبلاوي باحثة وأكاديمية تونسية وناشطة في المجتمع المدني حيث تقود المعهد الدولي للإنماء الإنساني، ولديها العديد من المؤلفات على غرار "الصابئة في الثقافة العربية الإسلامية" و"الإسلام المبكر: الاستشراق الأنغلو سكوني الجديد" وغيرها من البحوث.

وتؤكد الجبلأوي على أن الجهاديين شوهاوا فترة الدعوة وذلك من خلال الترويح للاقتداء بالسلف الصالح في عمليات القتل وغيرها على حد تعبيرها.

● **العرب:** لو توضّح لي لنا أكثر الأدوار التي يضطلع بها المعهد الدولي للإنماء الإنساني؟

● **أمنة الجبلأوي:** المعهد الدولي للإنماء الإنساني جمعية تونسية تأسست سنة 2013، والهدف منها هو القيام بالدراسات والتكوين في ما يخص الشأن العام على غرار التوقي من التطرف في إطار معاضدة جهود الدولة في مكافحة التطرف. كما تعلمون تونس لديها استراتيجية في هذا الصدد تقوم على عدة ركائز أبرزها التوقي من الفكر المتطرف، وهذا الدور لا يمكن أن تقوم به السلطات فقط بل ندفع نحو تضامن الجهود من مجتمع مدني وغيره من أجل تحصين شبابنا. أيضا المعهد الدولي للإنماء الإنساني لديه العديد من الشراكات مع الاتحاد الأوروبي وغيره من المؤسسات الدولية لخص مبادرات عدة ترمي إلى تعزيز السلام.

● **العرب:** تتابعين التطورات في تونس، كيف يبدو لك المشهد السياسي في خضم الدعوات للحوار الوطني والأزمة بين الرئاسات الثلاث (رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ورئاسة البرلمان)؟

● **أمنة الجبلأوي:** في تونس نعيش مازقا حقيقيا، وهذا المازق يجلينا مثلا إلى ما يثيره البعض حول مصطلح "الزاوية المسيكية" (وهو مفهوم يستعمل عندما تقع في مازق ونعجز عن الخروج منه). المازق كثيرة في ظل المشهد الحالي بسبب القانون الانتخابي وهيكله هيئة الانتخابات وتحييد بعض المراكز الفرعية التي تنضوي تحتها.

نحتاج ربما إلى رسائل طمأنة بشأن حياد هيئة الانتخابات، والعمل على تحييدها، وندعو إلى أن يتم التطرق إليها في الحوارات القادمة. هناك أيضا مازق دستوري، فرغم ما منحنا إياه دستور 2014 غير أن هناك فترات كبيرة تتعلق بالسلطة المحلية، علاوة على إضعاف سلطة الرئاسة مقابل منح البرلمان صلاحيات قوية، ما يزيد من حالة التشرذم السياسي. اليوم من الصعب إيجاد غالبية تتحمل مسؤولية نتائج الحكم.